الفصل الرابع والثلاثون

النداء

حقيقة (يا) التي للنداء :

تحدث عنها الزجاج في توجيه قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[1] حيث قال : " وأما إعراب (يا أيها) فـ(أي) اسم مبهم مبني على الضم لأنه منادى مفرد ، و(الناس) صفة لـ(أي) لازمة ، تقول : يا أيها الرجل أقبل ، ولا يجوز : يا الرجل ؛ لأن (يا) تنبيه بمنزلة التعريف في (الرجل) ، فلا يجمع بين (يا) وبين الألف واللام ، فتصل إلى الألف واللام بـ(أي) ، و(ها) لا زمة لـ(أي) للتنبيه ، وهي عوض من الإضافة في (أي) ؛ لأن أصل (أي) أن تكون مضافة في الاستفهام والخبر " [2] .

وجه نداء ما لا يعقل :

تحدث عنه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾[3] فقال : " معنى النداء في هذه الأشياء التي لا تجيب ولا تعقل إنما هو تنبيه المخاطبين وتوكيد القصة، إذا قلت : (يا عجباه) كأنك قلت : اعجبوا ، ويا أيها العجب هذا من حينك ، وكذلك إذا قال : (يا بشرى) فكأنه قال : أبشروا ، وكأنه قال : يا أيتها البشرى هذا من إبانك وأوانك " [4] .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [5] : " إن قال قائل : ما معنى دعاء الحسرة وهي لا تعقل ولا تجيب ؟ فالجواب عن ذلك أن العرب إذا اجتهدت في الإخبار عن عظيم تقع فيه جعلته نداء ، فلفظه لفظ ما ينبه والمنبه غيره ، مثل قوله عز وجل: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾ [6] ، وقوله : ﴿يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾[7]، وقوله :﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [8] ، فهذا أبلغ من أن تقول : أتحسر على العباد ،

---

(١) البقرة /٢١ . (٢) معانيه ٩٨/١ . (٣) يوسف /١٩ . (٤) معانيه ٩٧/٣ .
(٥) الأنعام /٣١ . (٦) الزمر /٥٦ . (٧) هود /٧٢ . (٨) يس /٥٢ .

وأبلغ من أن تقول : الحسرة علينا في تفريطنا ، قال سيبويه[1] : إذا قلت : (يا عجباه) فكأنك قلت : احضر وتعال يا عجب فإنه من أزمانك ، وتأويل (يا حسرتنا) : انتبهوا على أننا قد حسرنا ، وهذا مثله في الكلام في أنك أدخلت عليه (يا) للتنبيه وأنت تريد الناس قولك : لا أربنك ههنا ، فلفظك لفظ الناهي نفسه، ولكنه لما علم ان الإنسان لا يحتاج أن يلفظ بنهي نفسه دخل المخاطب في النهي فصار المعنى : لا تكونن ههنا فإنك إذا كنت رأيتك ، وكذلك (يا حسرتنا) قد علم أن الحسرة لا تدعى فوقع التنبيه للمخاطبين " [2] .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ﴾ [3] : " والنداء لغير الآدميين نحو : (يا حسرتا على العباد) [4] ، و(يا ويلتا أألد وأنا عجوز) [5] ، و(قال يا ويلتا أعجزت) ،فإنما وقع في كلام العرب على تنبيه المخاطبين وأن الوقت الذي تدعى له هذه الأشياء هو وقتها ، فالمعنى : يا ويلتا تعالي فإنه من إبانك ، فإنه قد لزمني الويل ، وكذلك : يا عجبا ، المعنى : يا أيها العجب هذا وقتك ، فعلى هذا كلام العرب " [6] .

حذف حرف النداء :

من مواضعه عند الزجاج قوله تعالى : ﴿الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ﴾[7] وقوله : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[8]، حيث أجاز توجيه نصب (رب العالمين) و(مالك) على النداء، وقال : " كما تقول : الحمد لله يا ربَّ العالمين ، ويا مالك يوم الدين، كأنك بعد أن قلت : (الحمد لله) قلت : لك الحمد يا رب العالمين ويا مالك يوم الدين " [9] .

قلت : وقد صرح الزجاج بأنه لا يستحسن القراءة بالنصب ، وجاءت القراءة بنصب (مالك) في غير المتواتر ، ونسبها الزمخشري [10] إلى أبي هريرة رضي الله عنه ، ونسبها أبو حيان [11] إلى الأعمش وغيره ، وتوجيه النصب فيها على النداء اقتصر عليه أبو عبيدة في مجاز القرآن [12] .

(١) الكتاب ٢١٧/٢ .
(٢) معانيه ٢٤١/٢ ، ٢٤٢ .
(٣) المائدة /٣١ .
(٤) يس /٣٠ .
(٥) هود /٧٢ .
(٦) معانيه ١٦٨/٢ .
(٧) الفاتحة /٢ .
(٨) الفاتحة /٤ .
(٩) معانيه ٤٧/١ .
(١٠) الكشاف ٩/١ .
(١١) البحر ٢٠/١ .
(١٢) ٢٢/١ ، ٢٣ .

ومنها قوله تعالى : ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [1] ، وفيه يقول : " يجوز (والله ربِّنا) على جر (ربنا) على النعت والثناء لقوله (والله) ، ويجوز (والله ربُّنا) بنصب (ربنا) ويكون النصب على وجهين : على الدعاء ، قالوا : والله يا ربنا ما كنا مشركين ، ويجوز نصبه على (أعني) ، المعنى : أعني ربنا وأذكر ربنا ، ويجوز رفعه على إضمار (هو) ويكون مرفوعا على المدح ، والقراءة الجر والنصب ، فأما الرفع فلا أعلم أحدا قرأ به " [2] .

قلت : والقراءة بنصب (ربنا) قراءة متواترة قرأ بها حمزة والكسائي ، وقرأ باقي السبعة بالجر [3] .

ومنها قوله تعالى : ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ ، وقد تقدم في فصل البدل [4] .

ومنها قوله تعالى : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [5] ، وفيه يقول : " أراد : يا يوسف، والنداء يجوز في المعرفة حذف (يا) منه فتقول : يا زيد أقبل ، وزيد أقبل، وقال الشاعر :

محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالا [6]

أراد : يا محمد " [7] .

ومنها قوله : ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا . ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ، وقد تقدم في فصل البدل [8] .

ومنها قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[9]، وفيه يقول : " (أهلَ البيت) منصوب على المدح ، ولو قرئت (أهل البيت) بالخفض والرفع لجاز ذلك ، ولكن القراءة النصب ، وهو على وجهين : على معنى (أعني أهل البيت) ، وعلى

(١) الأنعام /٢٣ . (٢) معانيه ٢٣٦/٢ . (٣) السبعة /١٥٥ ، والحجة لأبي علي ٢٩١/٣.
(٤) انظر ص (٥) يوسف /٢٩ .
(٦) من الوافر ، وينسب لحسان بن ثابت وغيره ، من شواهد الكتاب ٨/٣ ، و(تبال) سوء العاقبة ، وانظره في ابن يعيش ٣٥/٧ ، وشرح الكافية للرضي ٨٨/٤ ، والخزانة ١١/٩ .
(٧) معانيه ١٠٤/٣ . (٨) انظر ص . (٩) الأحزاب /٣٣ .

النداء على معنى : يا أهل البيت " [1] .

ومنها قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾[2]، فقد ذكر فيها أنها تقرأ بلفظ (ادخلوا) بهمزة وصل ، وقال : " على معنى الأمر لهم بالدخول ، فالمعنى : ويوم تقوم الساعة يقول : ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب " [3] .

ومنها قوله تعالى : ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ﴾ [4] ، وفيه يقول : " وجائز أن يكون (عباد الله) منصوبا على النداء ، ويكون المعَنى : أن أدوا إلي ما أمركم الله به يا عباد الله " [5] .

دخول (يا) على غير منادى :

تحدث عن ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى:﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لله﴾[6] فقال: "وتقرأ: (ألاَ يسجدوا لله) [7] ، فمن قرأ بالتشديد فالمعنى : وزين لهم الشيطَان أعمالهم فصدهم عن السبيل أن لا يسجدوا لله ، أي فصدهم لأن لا يسجدوا لله ، وموضع (أن) نصب بقوله : (فصدهم) ، ويجوز أن يكون موضعها خفضا وإن حذفت اللام ، ومن قرأ بالتخفيف فـ(ألا يا) لابتداء الكلام والتنبيه ، والوقف عليه (ألا يا) ثم تستأنف فتقول : اسجدوا لله ، ومن قرأه بالتخفيف فهو موضع سجدة من القرآن ، ومن قرأ (ألاَ يسجدوا) فليس بموضع سجدة ، ومثل قوله : (ألا يا اسجدوا) بالتخفيف قول ذي الرمة :

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر [8]

وقال الأخطل :

ألا يا اسلمي يا هند هند بني بدر وإن كان حيّانا عدى آخر الدهر [9]

---

(١) معانيه ٢٢٦/٤ . (٢) غافر /٤٦ . (٣) معانيه ٣٧٦/٤ .
(٤) الدخان /١٨ . (٥) معانيه ٤٢٥/٤ . (٦) النمل /٢٥ .
(٧) يعني بفتح اللام غير مشددة في (ألا) وهي قراءة الكسائي ، انظر السبعة ص٤٨٠ .
(٨) هو من الطويل ، انظره في المسائل الشيرازيات ص١٨٥ ، وكتاب الشعر ص٦٧ ، والتصريح ٥٩٣/١ (تحقيق د/بحيري) ، والجرعاء : رملة مستوية لا تنبت شيئا .
(٩) ديوانه ص١٢٨ ، والبيت من الطويل ، وانظره في مجاز القرآن ١٦/٢ ، واللسان (عدا) .

وقال العجاج :

يا دار سلمى يا اسلمي ثم اسلمي
عـن سـمسـم وعـن يمين سـمسـم [1]

وإنما أكثرنا الشاهد في هذا الحرف كما فعل من قبلنا ، وإنما فعلوا ذلك لقلة اعتياد العامة لدخول (يا) إلا في النداء ، لا تكاد العامة تقول : يا قد قدم زيد ، ولا : يا اذهب بسلام " [2] .

أنواع المنادى وأحكامه :

أولا : المنادى المفرد المعرفة

تقدم من مواضعه هنا توجيه قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ وقوله تعالى : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ [3] : " قوله (والطيرُ) ، (والطيرَ) يقرآن بالرفع والنصب ، والرفع من وجهين : أحدهما أن يكون نسقا على ما في (أوبي) ، المعنى : يا جبال رجعي التسبيح معه أنت والطير .

ويجوز أن يكون مرفوعا على النداء،المعنى: يا جبال ، ويا أيها الطير أوبي معه.

والنصب من ثلاث جهات : أحدها أن يكون عطفا على قوله : (ولقد آتينا داود منا فضلا ... والطيرَ) ، أي : وسخرنا الطير ، حكى ذلك أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء .

ويجوز أن يكون نصبا على النداء ، المعنى : يا جبال أوبي معه والطيرَ ، كأنه قال : أدعو الجبال والطيرَ ، فـ(الطير) معطوف على موضع الجبال في الأصل ، وكل منادى عند البصريين كلهم في موضع نصب ، وقد شرحنا حال المضموم في النداء ، وأن المعرفة المفرد مبني على الضم .

ويجوز أن يكون (والطيرَ) منصوبا على معنى (مع) كما تقول : قمت وزيدا ، أي: قمت مع زيد ، فالمعنى : أوبي معه ومع الطير " [4] .

---

(١) ديوانه القسم الثاني ص١٨٣ .
(٢) معانيه ٤/١١٥ ، ١١٦ .
(٣) سبأ /٦ .
(٤) معانيه ٤/٢٤٣ .

ثانيا : المنادى المضاف

من أمثلته عند الزجاج :

ـ توجيه قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ [1] ، وقد وجهه مرتين فقال في الأولى : " نصب (بني إسرائيل) لأنه نداء مضاف ، وأصل النداء النصب ؛ لأن معناه معنى (ناديت) و(دعوت) " [2] .

وقال في الثانية : " (بني إسرائيل) نصب لأنه نداء مضاف وأصل النداء النصب، ألا ترى أنك إذا قلت : (يا بني زيد) فقال لك قائل : ما صنعت ؟ قلت : ناديت بني زيد ، فمحال أن تخبره بغير ما صنعت " [3] .

ـ توجيه قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ [4] ، وفيه يقول : " (أولي) نصب لأنه نداء مضاف " [5] .

ـ ما تقدم ذكره هنا من توجيه قوله تعالى:﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وقوله:﴿... ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ وقوله : ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ .

ما يجوز ضمه وفتحه من المنادى :

إذا كان المنادى علما مفردا موصوفا بابن متصل به مضاف إلى علم نحو : (يا زيد ابن عمرو) جاز فيه الضم والفتح ، والمختار عند البصريين غير المبرد الفتح [6] .

وقد تناول ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [7] فقال : " جائز أن يكون موضع (عيسى) نصبا ، كما تقول : يا زيد بن عمرو ؛ لأن ابنا إذا أضيف إلى اسم معروف علم أو أضيف إلى كنية معروفة جعل وما قبله كالشيء الواحد ، جميع النحويين يختارون (يا زيدَ بن عمرو) ، وكلهم يجيزون (يا زيدُ بن عمرو) ، وعلى هذا جائز أن يكون موضع (عيسى) موضع اسم مبني على الضم ، قالوا كلهم : فإن قلت : يا زيدُ ابن أخينا ، ويا زيدُ ابن الرجل الصالح ضممت زيدا لا غير ؛ لأن النصب إنما يكون إذا أضيف ابن إلى علم كما وصفنا " [8] .

---

(١) البقرة /٤٠ ، ٤٧ . (٢) معانيه ١/١١٩ . (٣) معانيه ١/٢٠٣ . (٤) البقرة /١٩٧ .
(٥) معانيه ١/٢٧١ . (٦) التصريح ٢/١٦٨ ، ١٦٩ . (٧) المائدة /١١٢ .
(٨) معانيه٢/٢٢٠.

وتفسير الفتح في هذا المنادى بكون الوصف معه كالشيء الواحد يعزى في كتب المتأخرين من النحويين إلى الشيخ عبد القاهر الجرجاني [1] ، والواضح أنه تفسير الزجاج ، ويلحظ أن الزجاج أطلق القول بالإجماع في المسألة ولم يشر إلى خروج المبرد عنه .

توجيه قول العرب (اللهم) وحكم وصفه :

تحدث الزجاج في ذلك حديثا مستفيضا في توجيه قوله تعالى : ﴿قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الـمُلْكِ﴾ [2] فقال : " أما إعراب (اللهم) فضم الهاء وفتح الميم لا اختلاف في اللفظ به بين النحويين ، فأما العلة فقد اختلف فيها النحويون فقال بعضهم [3] : معنى الكلام : يا ألله أم بخير ، وهذا إقدام عظيم ؛ لأن كل ما كان من هذا الهمز الذي طرح فأكثر الكلام الإتيان به ، يقال : ويلمه وويل أمه ، والأكثر إثبات الهمز ، ولو كان كما يقول لجاز : أؤمم ، والله أم ، وكان يجب أن تلزمه ياء النداء ؛ لأن العرب تقول : يا ألله اغفر لنا ، ولم يقل أحد من العرب إلا اللهم ، ولم يقل أحد : يا اللهم ، قال الله عز وجل : ﴿وَإِذْ قَالُوا اللهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ﴾ [4] ، وقال : ﴿اللهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [5] ، فهذا القول يبطل من جهات : إحداها أن (يا) ليست في الكلام ، وأخرى أن هذا المحذوف لم يتكلم به على أصله كما يتكلم بمثله ، وأنه لا يقدم أمام الدعاء هذا الذي ذكره ، وزعم أن الضمة التي في الهاء ضمة الهمزة التي كانت في (أم)، وهذا محال أن يترك الضم الذي هو دليل على النداء للمفرد وأن يجعل في (الله) ضم (أم) ، هذا إلحاد في اسم الله .

وزعم أن قولنا : (هلم) مثل ذلك ، أي أصلها : هل أم ، وإنما هي (لُمَّ) ، والهاء للتنبيه ، وقال المحتج بهذا القول : إن (يا) قد يقال مع (اللهم) فيقال : يا اللهم ، ولا يروي أحد عن العرب هذا غيره ، زعم أن بعضهم أنشده :

وما عليك أن تقولي كلما
صليت أو سبحت يا اللهم ما
أردد علينا شيخنا مسلما [6]

---

(١) انظر التصريح ١٦٩/٢ ، والأشموني ١٤١/٣ ، ١٤٢ .
(٢) آل عمران/٢٦. (٣) هو الفراء ، انظر معانيه ٢٠٣/١ . (٤) الأنفال /٣٢ .
(٥) الزمر /٤٦ . (٦) الأبيات من مشطور الرجز وهي في معاني الفراء ٢٣٠/١ والخزانة ٢٦٩/٢.

وليس يعارض الإجماع وما أتى به كتاب الله تعالى ووجد في جميع ديوان العرب بقول قائل : (أنشدني بعضهم) ، وليس ذلك البعض بمعروف ولا مسمى .

وزعم سيبويه [1] أن هذا الاسم لا يوصف ؛ لأنه قد ضمت إليه الميم فقال في قوله عز وجل : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [2] : إن (فاطر) منصوب على النداء، وكذلك (مالك الملك) ولكن لم يذكره في كتابه ، والقول عندي أن (مالك الملك) صفة (الله) وأن (فاطر السماوات والأرض) كذلك ، وذلك أن الاسم ومعه الميم بمنزلته ومعه (يا) ، فلا تمنع الصفة مع الميم كما لا تمنع مع (يا) ، فهذا جملة تفسير وإعراب (اللهم) " [3] .

وقد وصف ابن عطية [4] قول الزجاج هنا : (هذا إلحاد في اسم الله) بأنه غلو منه .

تابع المنادى المبني وأحكامه :

تقدم من أمثلته هنا توجيه الزجاج لقوله تعالى : ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [5] : " وزعم سيبويه [6] عن الخليل أن المنادى المفرد مبني وصفته مرفوعة رفعا صحيحا؛ لأن النداء يطرد في كل اسم مفرد ، فلما كانت البنية مطردة في المفرد خاصة شبه بالمرفوع فرفعت صفته .

والمازني يجيز في (يا أيها الرجل) النصب في (الرجل) ، ولم يقل بهذا القول أحد من البصريين غيره ، وهو قياس ؛ لأن موضع المفرد المنادى نصب ، فحملت صفته على موضعه ، وهذا في غير (يا أيها الرجل) جائز عند جميع النحويين نحو قولك : يا زيد الظريفُ والظريفَ ، والنحويون لا يقولون إلا : يا أيها الرجلُ ، ويا أيها الناسُ ، والعرب لغتها في هذا الرفع ، ولم يرد عنها غيره ، وإنما المنادى في الحقيقة الرجل ، ولكن (أي) صلة إليه ، وقال أبو الحسن الأخفش : إن (الرجل) أن يكون صلة لـ(أي) أقيس ، وليس أحد من البصريين يتابعه على هذا القول " [7] .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾[8]: " (يا أيها) نداء مفرد مبهم ، و(الذين) في موضع رفع صفة لـ(أيها) ، هذا مذهب الخليل وسيبويه ،

(١) الكتاب ١٩٦/٢ ، ١٩٧ .
(٢) الزمر /٤٦ .
(٣) معانيه ٣٩٣/١ : ٣٩٥ .
(٤) المحرر الوجيز ٣٧٤/٢ .
(٥) البقرة /٢١ .
(٦) انظر الكتاب ١٨٣/٢ .
(٧) معانيه ٩٨/١ ، ٩٩ .
(٨) البقرة /١٢٣ .

ومذهب الأخفش أن (الذين) صلة لـ(أي) ، وموضع (الذين) رفع بإضمار الذكر العائد على (أي) ، كأنه على مذهب الأخفش بمنزلة قولك : يا من الذين ، أي : يا من هم الذين ، و(ها) لازمة لـ(أي) عوض عما حذف منها للإضافة وزيادة في التنبيه ، و(أي) في غير النداء لا يكون معها (ها) ويحذف معها الذكر العائد عليها ، تقول : اضرب أيهم أفضل ، وأيهم هو أفضل ، تريد : الذي هو أفضل .

وأجاز المازني أن تكون صفة (أي) نصبا فأجاز : يا أيها الرجلَ أقبل ، وهذه الإجازة غير معروفة في كلام العرب ، ولم يجز أحد من النحويين هذا المذهب قبله ، ولا تابعه عليه أحد بعده ، فهذا مطروح مرذول ؛ لمخالفته كلام العرب والقرآن وسائر الأخبار " [1] .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ في أول الحج : " (يا أيها الناس) نداء مبهم مفرد ، و(ها) للتنبيه ، وهو مبني على الضم، و(الناس) رفع تبعا لـ(يا أيها) ، والنحويون لا يجيزون إلا رفع (الناس) ههنا، والمازني أجاز النصب في (يا أيها الرجل افعل) ، كما تقول : يا زيد الظريفُ والظريفَ ، وهذا غلط من المازني ؛ لأن زيدا يجوز الوقف والاقتصار عليه دون الظريف ، و(يا أيها) ليس بكلام ، وإنما القصد الناس ، فكأنه بمنزلة : يا ناس اتقوا ربكم " [2] .

أوجه المنادى المضاف إلى ياء المتكلم :

يقول الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾[3] : " القراءة (يا قومِ) بكسر الميم ، وهو نداء مضاف ، والاختيار فيه حذف الياء ؛ لأن الياء حرف واحد ، والنداء باب حذف ، وهي في آخر الاسم ، كما أن التنوين في آخره ، فحذفت الياء وبقيت الكسرة تدل عليها ، ويجوز في الكلام أربعة أوجه ، فأما في القرآن فالكسر وحذف الياء ؛ لأنه أجود الأوجه ، وهو إجماع القراء .

فالذي يجوز في الكلام أن تقول : (يا قومِ إنكم) كما قرئ في القرآن ، ويجوز : (يا قومي) بإثبات الياء وسكونها ، ويجوز : (يا قوميَ) بتحريك الياء ، فهذه ثلاثة أوجه في الإضافة ، ويجوز (يا قومُ) بضم الميم ، على معنى : يا أيها القوم " [4] .

---

(١) معانيه١/٢٢٨، ٢٢٩. (٢) معانيه٣/٤٠٩. (٣) البقرة/٥٤. (٤) معانيه١/١٣٤ ، ١٣٥.

ويلحظ أن ترتيب الزجاج لما ذكره من الأوجه روعي فيه تقديم الأفصح والأكثر .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾ [1] : " الكسر أجود القراءة ـ أعني كسر الياء ـ ويجوز فتحها ، وكسرها من جهتين : إحداهما أن الأصل (يا بنيِّي) والياء تحذف في النداء ـ أعني ياء الإضافة ـ وتبقى الكسرة تدل عليها .

ويجوز أن تحذف الياء لسكون الراء من (اركب) وتقره في الكتاب على ماهي في اللفظ .

والفتح من جهتين : الأصل (يا بنيّا) فتبدل الألف من ياء الإضافة ، والعرب تقول: يا غلاما أقبل ، ثم تحذف الألف لسكونها وسكون الراء ، وتقره في الكتاب على حذفها في اللفظ .

ويجوز أن تحذف ألف النداء كما تحذف ياء الإضافة ، وإنما حذفت ياء الإضافة وألف الإضافة في النداء كما يحذف التنوين ؛ لأن ياء الإضافة زيادة في الاسم كما أن التنوين زيادة فيه ، ويجوز وجه آخر ولم يقرأ به ، وهو إثبات الياء وفتحها : يا بنيِّيَ ، وهذه تثقل لاجتماع الياءات " [2] .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [3] : " المصحف فيه (يا ويلتى) بالياء ، والقراءة بالألف ، عن شئت على التفخيم وإن شئت على الإمالة ، والأصل : يا ويلتي ، فأبدل من الياء والكسرة الألف ؛ لأن الفتح والألف أخف من الياء والكسرة " [4] .

وقال في قوله تعالى :﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾[5]:" في قوله : (يا أبت) قراءتان : (يا أبتِ إني) و(يا أبتَ إني) ، وأجاز بعض أهل العربية (يا أبتُ) ، فمن قرأ : يا أبتِ بكسر التاء فعلى الإضافة إلى نفسه وحذف الياء ؛ لأن ياء الإضافة تحذف في النداء... فأما إدخال تاء التأنيث في الأب فإنما دخلت في النداء خاصة، والمذكر قد يسمى باسم فيه علامة التأنيث ويوصف بما فيه هاء التأنيث ، فأما المذكر الذي يسمى بمؤنث فقولهم : (عين) و(نفس) يراد به الرجل [6] ، وأما الصفة فقولهم :

(١) هود /٤٢ . (٢) معانيه ٥٤/٣ . (٣) هود /٧٢ .
(٤) معانيه ٦٣/٣ . (٥) يوسف /٤ .
(٦) الظاهر التمثيل لذلك بنحو (حمزة) و(طلحة) و(ربيعة) .

غلام يفعة ، ورجل ربعة [1] ، والتاء كثرت ولزمت في الأب عوضا من ياء الإضافة ، وزعم قطرب أن الفتح على جهات : أحدها أنك أردت (يا أبةً) ثم حذفت التنوين ، وعلى : يا أبتاه ، وعلى قول الطرماح :

يا دار أقوت بعد أصرامها عاما وما يعنيك من عامها [2]

فهذا والذي قاله قطرب خطأ كله ، التنوين لا يحذف من المنادى المنصوب ؛ لأن النصب إعراب ، والمنادى لا يكون معربا منصوبا غير منون في حال النصب ، وأما قوله: (يا دار أقوت) بنصب الدار فلم يروه أحد من أصحابنا ولا أعرف له وجها ، أنشد سيبويه [3] والخليل وجميع البصريين : يا دارُ أقوت ، بضم الراء ، وأما (يا أبتاه) فالندبة هنا لا معنى لها ، ولكن الفتح يجوز على أنه أبدل من ياء الإضافة ألفا ثم حذف الألف وبقيت الفتحة كما تحذف ياء الإضافة ، وأما (يا أبتُ إني) بالرفع فلا يجوز ؛ لأن التاء ههنا جعلت بدلا من ياء الإضافة " [4] .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾ [5] : " فيه ثلاثة أوجه : أجودها (يا بشراي) بألف وياء مفتوحة ، وقرئت : (يا بشريَّ) ... وتفسيره أن ياء الإضافة تغير ما قبلها ولا يتبين معها الإعراب ، فإذا كان قبلها ألف فالاختيار ألا تغير الألف ، وبعض العرب تبدل الألف معها [6] فيكون بدلها بمنزلة تغيير الحروف قبلها ، وقرئت (يا بشرى هذا غلام) بغير ياء " [7] .

وقال في قوله تعالى : ﴿... يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ [8] : " الأصل : يا أسفي ، إلا أن ياء الإضافة يجوز أن تبدل ألفا لخفة الألف والفتحة " [9] .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾[10]: " العرب تقول في النداء : يا أبتِ ويا أبتَ ، ولا يقل قائل: يا أبتي كذا ، ويا أمتي ، وزعم الخليل وسيبويه[11] أنه

---

(١) (يفعة) أي شاب ، و(ربعة) بسكون الباء وفتحها : مربوع الخلق ، لا بالطويل ولا بالقصير ، وانظر اللسان (يفع) و(ربع) .

(٢) من السريع ، و(أقوت) : أقفرت ، و(الأصرام) : الفرق من الناس ، والبيت من شواهد الكتاب ٢/٢٠٠ ، ٢٠١ ، وفي اللسان (صرم) .

(٣) الكتاب ٢/٢٠١ . (٤) معانيه ٣/٨٨ : ٩٠ . (٥) يوسف /١٩ .

(٦) يعني تقلبها ياء . (٧) معانيه ٣/٩٧ . (٨) يوسف /٨٤ .

(٩) معانيه ٣/١٢٥ . (١٠) مريم /٣١ . (١١) الكتاب ٢/٢١٠ ، ٢١١ .

بمنزلة قولهم : يا عمه ، ويا خاله ، وأن (أبة) للمذكر والمؤنث كأنك تقول للمؤنث أبة وللمذكر أبة ، والدليل على أن التاء خطأ في الأبوة أنه يقال : أبوان ، قال الله تعالى : ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ [1] ، وزعم أنه بمنزلة قولهم : رجل ربعة وغلام يفعة، وأن الهاء عوض من الإضافة ، ومن قال : يا أبي ويا أمي لم يقل : يا أبتي ويا أمتي ، وكذلك لم تقع الهاء في غير النداء ؛ لأن حذف الياء يقع في النداء كثيرا ، تقول : يا أبتِ لا تفعل ويا أبي لا تفعل ، ولا تقل : (يا الأب كذا وكذا) تريد : أبي ... وقرئت : يا أبتَ ، فمن فتح حذف الألف التي هي بدل من ياء الإضافة ، إلا أن الواجب حذفها إذ كانت بدلا مما يحذف " [2] .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾ [3] : " (يا حسرتا) أي يا ندما ، وهذا النداء يدل على تمكن القصة من صاحبها ، إذا قال القائل : (يا حسرتاه) و(يا ويلاه) فتأويله أن الحسرة والويل قد حلا به وأنهما لازمان له غير مفارقين، ويجوز : يا حسرتي ، وزعم الفراء [4] أنه يجوز : يا حسرتاهَ على كذا وكذا ، بفتح الهاء ، ويا حسرتاهِ بالضم والكسر ، والنحويون أجمعون لا يجيزون أن تثبت هذه الهاء مع الوصل ، وزعم أنه أنشده أبو فقعس (رجل من بني سعد) :

يا رب يا رياه إياك أسل
عفراء يا رياه من قبل الأجل [5]

وأنشد أيضا :

يا مرحباه بحمار ناجيه [6]

ولا أدري لم استشهد بهذا ، ولم يقرأ به قط ، ولا يقع في تفسير هذه الآية ، وهو خطأ " [7] .

---

(١) النساء /١١ .
(٢) معانيه ٣/٣٣١ ، ٣٣٢ .
(٣) الزمر /٥٦ .
(٤) معاني الفراء ٢/٤٢٢ .
(٥) البيتان من مشطور الرجز لعروة بن حزام في معاني الفراء ٢/٤٢٢ ، وشرح الكافية للرضي ٣/٣٤٠ ، والخزانة ٧/٢٧٠ ، ١١/٤٥٨ .
(٦) البيت من مشطور الرجز ، في معاني الفراء ٢/٤٢٢ ، وشرح الكافية للرضي ١/٣٨٤ ، والخزانة ٢/٣٨٨، ١١/٤٦٠ .
(٧) معانيه ٤/٣٥٨ ، ٣٥٩ .

قلت : وقد وردت القراءة في الآية بإثبات ياء المتكلم ، وهي قراءة تنسب إلى أبي جعفر [1] ، وقول الزجاج في (يا حسرتاه) : "والنحويون لا يجيزون أن تثبت هذه الهاء مع الفصل" لعله يريد به عدم الجواز في الكلام ؛ فإن النحويين استشهدوا بنحو قوله :

يا مرحباه بحمار ناجيه

مع أن هاء السكت الواقعة بعد الألف يضمها بعض العرب ويفتحها في حال الوصل في الشعر كما قال البغدادي [2] .

المنادى المضاف إلى ما أضيف إلى الياء :

تحدث عنه الزجاج في موضعين :

الأول : في توجيه قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ﴾ [3] حيث قال : " (ابن أمّ) بالفتح ، وإن شئت (ابن أمٍّ) بالكسر ، فمن قال (ابن أمّ) بالفتح فإنه إنما فتحوا في (ابن أم) و(ابن عم) لكثرة استعمالهم هذا الاسم وأن النداء كلام محتمل للحذف ، فجعلوا ابن وأم شيئا واحدا نحو (خمسة عشر) ، ومن قال (ابن أمٍّ) بالكسر فإنه أضافه إلى نفسه بعد أن جعله اسما واحدا ، ومن العرب من يقول : يا ابن أمي ، بإثبات الياء ، قال الشاعر :

يا ابن أمي ويا شقيِّق نفسي أنت خليتني لدهر شديد [4] " [5]

والثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ في سورة طه [6] حيث قال : " فتحت (أم) والموضع موضع جر ؛ لأن (ابن) و(أم) جعلا اسما واحدا فبني ابن وأم على الفتح ، ومن كسر الميم أضافه إلى نفسه ، وفيها وجه ثالث : (يا ابن أمي) ، ولكنها ليست ثابتة في المصحف فلا تقرأن بها ، ومثل هذا في الشعر :

يا ابن أمي ويا شقيق نفسي أنت خليتني لدهر شديد

ولم يجئ هذا إلا في ابن أم وابن عم ، وذلك أنه يقال لمن ليس بأخ لأم ولا بأخ ألبتة :

---

(١) انظر روح المعاني ١٧/٢٤ . (٢) انظر الخزانة ٣٨٨/٢ . (٣) الآية /١٥٠ .

(٤) البيت من الخفيف ، لأبي زبيد الطائي ، من شواهد الكتاب ٣١٢/٢ ، وانظره في التصريح ٧/٢ ، والأشموني ١٥٧/٣ .

(٥) معانيه ٣٧٨/٢ ، ٣٧٩ . (٦) الآية ٩٤ .

يا ابن أم ، كذلك يقال للأجنبي : يا ابن عم ، فلما أزيل عن بابه بني على الفتح ، وإن كان قد يقول القائل لأخيه من أمه أيضا : يا ابن أم ، فإنما أدخل أخاه في الجملة من يقول له : يا ابن أم، وقد قيل في هارون إنه لم يكن أخا موسى لأمه "[1].

الترخيم :

تعرض له الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ ...﴾ [2] حيث أورده بلفظ (يا مالك) وقال : " وقد رويت (يا مالِ ...) بغير كاف وبكسر اللام ، وهذا يسميه النحويون : الترخيم ، وهو كثير في الشعر في مالك وعامر ، ولكني أكرهها لمخالفتها المصحف " [3] .

قلت : والقراءة بحذف الكاف وكسر اللام قراءة غير متواترة تنسب إلى علي كرم الله وجهه وإلى ابن مسعود وابن وثاب وغيرهم [4] ، والترخيم : حذف آخر المفرد المعرفة في النداء من غير علة موجبة بل لنوع من التخفيف ، وهو في الآية على لغة من ينتظر [5] ، وقرأ أبو السوار أيضا : (يا مالُ ...) [6] بضم اللام ، وفيه ترخيم على لغة من لا ينتظر .

---

(١) معانيه ٣/٣٧٣ .
(٢) الزخرف /٧٧ .
(٣) معانيه ٤/٤٢٠ .
(٤) روح المعاني ٢٥/١٠٢ .
(٥) انظر ابن يعيش ٢/٢١ ، والأشموني ٣/١٨١ .
(٦) روح المعاني ٢٥/١٠٢ .